

حديث النخيل

شعر

محمد كابر هاشم





كلمة الناشر

تعرف الساحة الأدبية، منذ عقود من الزمن، حركة دائبة نحو التجدد والانبعاث جاءت مساوقة لما شهدته البلاد من تحولات حاسمة بفعل عوامل خارجية وطبيعية داخلية معلومة، غير أن هذه العوامل نفسها هي التي فككت طرائق إنتاج المعرفة وتوزيعها في مجتمع بالغ الخصوصية، من هذه الوجهة على الأقل، وخلف انهيار المنظومة التربوية المحظية تحت وطأة الجفاف فراغا في التواصل جسده اختفاء ظاهرة التخزين الذهني (الحفظ) والمادي (النسخ) وكرسه غياب آلية بديلة كالصحف ودور النشر مثلا.

لم يكن صدفة، إذن، أن كان من أول الأحلام التي راودت أدباء الشباب منذ أواسط السبعينيات، نشر الإنتاج الأدبي الموريتاني والتعريف به، وأن كان ذلك من أبرز أهداف رابطة الأدباء الموريتانيين الوليدة.

ورغم الجهود التي بذلت لتلافي هذا النقص من خلال مجموعات أو منوعات نشرتها الرابطة هنا وهناك، أو أعمال نشرها أصحابها، فإن الأدب الموريتاني ظل أشبه شيء بحديث النفس لغياب الصلة بين المبدع والقراء من جهة بمن فيهم الناقد، وبين الناقد والقراء بمن فيهم المبدع من جهة أخرى.

حديث النخيل = للشاعر محمد كابر هاشم

في هذا السياق الموصوف تسعى رابطة الأدباء والكتاب الموريتانيين إلى الإسهام في خلق فضء للتواصل بين أفراد أسرة الأدب من خلال إقرارها مهرجاناً سنوياً للأدب الموريتاني يلتقي فيه مختلف أجيال الكلمة الأدبية ومن خلال مجلة "الأديب" التي تطمح أن تكون منبرا للمبدعين ولنقاد الإبداع ومحليله.

في إطار هذا السعي إلى خلق فضء للتواصل تنشر الرابطة اليوم خمسة أعمال شعرية للسادة:

- محمد الحافظ ولد أحمدو: عودة الهديل
- محمد عبد الله ولد عمر: دمع الغروب
- محمد ولد المختار ولد ابن: أهازيج الربيع
- محمد ولد الطالب: الليل والأرصفة
- ومحمد كابر هاشم: حديث النخيل.

مقدمة الطبعة الأولى

«... إن الإنسان تبع للفكرة وإنه كما يفكر الرجل يكون أو هو بالأحرى مركب من اعتقاداته ، فكما تكون يكن» (مثل هندي).

«... إن الكتب والجرائد والقصص والروايات والصور والنقوش هي التي تتيح لنا رجالا. إما أختيارا أطياب ، وإما أشرارا مردولين. فكما أنها تقدر أن تسمو بالناس إلى شريف المبادئ ، ونبيل المقاصد والغايات الكمالية ، كذلك يمكنها أن تحطهم إلى الأفكار الفاسدة والآراء السخيفة. فالكاتب الذي يقدم أفكارا شريفة مستقيمة ترن على أوتار الإخلاص والتفاني يساعد في تشكيل أمة عظيمة هادئة مطمئنة سعيدة. وأما من يقدم لها ثمالة الكأس من الأفكار الدنيئة والمزخرفة والفارغة الهوجاء فهو أكبر عون على إسقاط تلك الأمة (عمر فاخوري: كيف ينهض العرب؟ ط1 بيروت 1981 ص 119).

عندما أحسن الظن بنا صاحب هذا الديوان وعهد إلينا بكتابة هذه السطور المتواضعة تقدما لهذا العمل الأدبي الوطني والقومي والإنساني، ما تلجلجنا بل استجبنا فوراً لعدة اعتبارات:

أولها مكانة الشاعر الأدبية والاجتماعية والسياسية داخل البلاد وخارجها فهو- وكما تشهد بذلك سيرته المرضية عند الناس ونصوصه الأدبية المميزة،

حديث النخيل = للشاعر محمد كابرهاشم
ومساهماته في المناسبات الوطنية والقومية الدالة على أنه أديب قضية،
وصاحب رسالة، في عفة كاملة ونزاهة تامة ، ووطنية صادقة ، وتواضع كبير،
وسعة صدر، ودماثة أخلاق - وليس ذلك كله بغريب منه ولا بعجيب ، فقد
نبت وعاش في بيوتات العلم والأدب والسياسة في بيئة علمية وأدبية زاهرة
أنجبت علماء بارزين ، وشعراء وشاعرات وسياسيين محنكين ولغويين
مقتدرين - على النحو الذي يتبدى لاحقا - فهو يمثل ذلك الحضور العلمي
والأدبي المكثف في الفضاء الثقافي الواسع ، وهو امتداد واستمرار لما أنجبت
بيئته الخاصة والعامية من أصحاب العلم والأدب واللغة..

وثاني الاشارات أننا نفرح فرحا عارما بأي مولود جديد يسد الفراغ في
المكتبة الوطنية والعربية.

وثالثها مضمون الديوان فهو كما يتضح من عنوانه: " حديث النخيل "
يتمح من هذه البيئة ويجسد همومها وآمالها وأمانها، فقصائده كلها حديث
عاشق لدينه ، ووطنه ، تيمه وأضناه حب هذه البلاد التي افتتن بها وأضناه
انشغاله بهمومها والبحث عن خلاصها وإصلاحها ، كما شغفته حبا قضية
وحدة وطنه العربي الكبير " فلسطين الحبيبة"¹.

¹ تحية الشعر إلى فلسطين الحبيبة ، فصيلة نشرها الشاعر عام 1973م في مجلة الرسالة التي يصدرها المركز
الثقافي العربي المصري في انواكشوط ص24

وغير ذلك من القصائد التي نعت هذا الديوان قوتها والتي لم تثبت فيه وهي كثيرة وذات موضوعات في غاية الأهمية.

ولقد أدرك الشاعر علاقة الشعر بـحب الوطن، وقدرته على تفجير الطاقات الكامنة في وجدان الوطني الحق، فعشق الوطن " هنا نبتنا و" شيم الخير" و"علاقة الضاد بالضاد" واجب عند الشاعر الذي تعذب وعذب في سبيله، فأدرك أن حب بلاده هو القوة التي تدفع إلى بناء الوطن وحمايته وهو دليل الوطنية لا المواطنة، وهو الذي يعطي الأولى معناها الحقيقي ويرتقي بالوطني إلى درجات العلية، وبالوطن إلى البناء والنماء والإرتقاء.

إن الشعر سيظل ذا أهمية بالغة في حياة الإنسان العربي، فهو القادر على تفجير طاقاته الخلاقة، ودفعه إلى معالي الأمور والخصال الحميدة، فتلك هي الخلال التي سنها الشعراء وما زالوا يدعون إليها، فالعربي يعتبر الشعر لغة عواطفه ومشاعره وعقله، وهو الذي ينفذ إلى أحاسيسه ويستحوذ على وجدانه، فليس بدعا أن يختار الشاعر نهج الشعر سبيلا إلى الجمال والكمال.. إن قيمة هذا الديوان لا تنبع فقط من كونه إبداعا لافتا رأى النور على يد صاحبه، مصححا، منقحا فحسب، بل نابعة أيضا من كونه يعرض مواقف صاحبه من كل القضايا الوطنية والقومية، ويجسد مبادئه الثابتة ووطنيته النقية، ومنطلقاته الفكرية ومفاهيمه القومية والاجتماعية الصحيحة التي حماها وجاهد في سبيلها، ذلك أنه آمن بوظيفة الأدب ورسالة الأديب في الحياة الإنسانية.

حديث النخيل = للشاعر محمد كابر هاشم
وذلك ما يطمئن على سلامة النهج والاتجاهات الفكرية والسياسية
المعاصرة في البلاد، وهي تجمع بين النظرية والتطبيق في عالم متغير ، ذلك أنه
بقدر ما يبتعد الشاعر الموريتاني، والمثقف عامة عن دائرة حياته الخاصة
ليخوض في غمار الحياة الوطنية العامة تغدو حاجته ماسة إلى التفكير الجدي
في تدبر شؤونها ليصدر أحكامه الصائبة عليها، ثم يعمل بمقتضى ما تلميه عليه
المصلحة العامة.

وقد كان نهوض البلاد وتقدمها هاجس الشاعر محمد كابر هاشم الذي
يؤكد أنها لن تنهض إلا بسواعد أبنائها وبالجمع بين الأصالة الواعية
والمعاصرة المحافظة، فعلى المعلم والأستاذ والشاعر والكاتب والمثقف عامة
واجب بناء موريتانيا حرة متقدمة، كما يبدو من نصوص هذا الديوان وغيره
من شعره غير المنشور فيه والذي يروي مختلف الأبعاد في شخصية الشاعر.

محمد كابر هاشم.. بيئته العلمية والفكرية والأدبية.

ولد محمد كابر هاشم في مدينة تجكجه العريقة عام 1373 هـ 1953 م
وتلقى مبادئ القراءة والكتابة والعلوم الشرعية واللغوية في بيوتات ذويه على
عادة قومه، ثم اختلف إلى المحاضر ليتعمق في مختلف العلوم والمعارف السائدة،
وقد ساعدته البيئة العلمية والفكرية والأدبية المزدهرة التي ولد ونشأ فيها
وتأثر بالجو الأسري الذي يطبعه الوعي الفكري والنضج الثقافي.

حديث النخيل = لشاعر محمد كابر هاشم
فلقد أنجبت أسرته: أسرة أهل الهاشم العلوية كثيرا من العلماء والشعراء
والفقهه والسياسيين منهم على سبيل المثال لا الحصر: عبد الودود بن الكوري
بن الهاشم عالم لغوي ضليع " ويلقب لذلك بشيخ العربية في الساحل
* كما قال المختار ولد حامد وله شرح ديوان الشعراء الستة الجاهليين وله
مؤلفات أخرى.

- عبد السلام بن الهاشم ، عميد العائلة ، والفقيه المعروف ، وثالث ثلاثة
اتفقت جماعة مسجد " تجكجة " على تقديمهم للمناظرة العلمية التي جرت
بينهم وبعض علماء منطقة " القبلة " الوافدين على " تكانت " نيابة عن
علماء المنطقة* .

- محمد عبد الله (دلاهي) بن الكوري بن الهاشم (توفي مطلع
القرن 14هـ) عالم ومدرس وشاعر. أورد أحمد بن الشمس الحاجي نماذج من
شعره في كتابه: النفحة الأحمدية.

- أم الفضل بنت الهاشم ، العالمة واللغوية والشاعرة التي لقبها الأستاذ
الباحث سيدي بن عمارو بن النمين " خنساء " * تجكجة " ونوه بطلاوة
شعرها وبلاغة رثائها لعلماء قومها في " تجكجة " ويضيف: " لقد كانت أم
الفضل مدرسة وفقهية وخيرة بالسيرة النبوية الشريفة ، ولها ديوان شعر غير

* المختار ولد حامد حياة موريتانيا جزء إيدوعل (مرقون)

* نقلا عن الدكتور دود بن عبد الله في مقابلة أجراها مع إمام مسجد تجكجة الفقيه محمد محمود بن
صاليحي وذكر فيها أن الآخرين هما: محمد محمود ولد الحبيب ومحمد ولد المداح.

* مقال في مجلة المعهد التربوي الجهوي في تجكجة.

حديث النخيل = للشاعر محمد كابر هاشم
مجموع أغلبه الرثاء والمديح النبوي والرسائل الإخوانية والمنظومات الفقهية
والاستسقاء والدعاء ، وقد أخذ عنها العلم كثير من معاصريها" - ذكر
الباحث بعضهم -

محمد سالم بن عبد الفتاح، عالم وشاعر (توفي 1364هـ 1945 م) قاضي
مدينة الطرفاية وإمام مسجدها وله ديوان مطبوع محضه للمدائح النبوية
الشريفة وتبلغ إحدى قصائد هذا الديوان ألف بيت ومطلعها:

وقفت أبكي ودمع العين ينسجم ونار شوقي في الأحشاء تضطرم
وله مدح في مولاي يوسف سلطان المغرب ، وكان يرافق الشيخ أحمد الهيبة
بن الشيخ ماء العينين في جهاده، ثم صحب بعد ذلك الشيخ النعمة أخوا
السابق ، وله مدح لبعض رؤساء سوسه ترجم له الأستاذ المختار السوسي في
كتابه " المعسول" ترجمة ضافية.

- انتقل كابر هاشم إلى انواكشوط ليلتحق بالإذاعة الوطنية 1975م
- شغل فيها عدة مناصب ، ثم عين رئيسا لقطاع الدراسات السياسية
بالأمانة الدائمة للجنة العسكرية للخلاص الوطني وعين بعد ذلك مستشارا
صحفيا لرئيس الجمعية الوطنية.
- رئيس رابطة الأدباء والكتاب الموريتانيين منذ 14 دجبر 1992 حتى
اليوم.

- عضو مؤسس لنفس الرابطة .
- عضو مؤسس لجمعية حقوق الإنسان الموريتانية.
- عضو مؤسس لرابطة الصحفيين الموريتانيين.

- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.
 - مساعد الأمين العام لنفس الاتحاد. ومكلف بمكتب الحريات فيه
 - عضو جمعية كتاب إفريقيا.
- وله ديوان شعر كبير وزعه إلى مجموعات واختار منه هذا العمل ، وله قصص قصيرة منشورة في الصحف المحلية والعربية ، نشرت له نصوص شعرية في أغلب الكتب التي صدرت عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ومؤسسة الباطين الشعرية في الكويت.

محمد كابر هاشم .. وناكشوط والأدب الحديث

إن حصول موريتانيا على استقلالها عام 1960م واختيار نواكشوط عاصمة لها أدى إلى تحولات جديدة في حياة السكان ، حيث بدأت الحياة الثقافية والأدبية القديمة تهتز بتزايد الوعي الثقافي والسياسي والأدبي بفعل الارتباط بالدولة الحديثة بديلا للجهة والقبيلة ، فكانت الحركة النامية في أحشاء المجتمع الموريتاني نشطة تحت تأثير العوامل الداخلية والخارجية التي لم يستطع معها الشعر خاصة والأدب عامة أن يبقى حيث أراد له شعراء العصر الجاهلي والإسلامي والعباسي وشعراء القرون الثلاثة الأخيرة (12،13،14هـ) فبدأ الأدب الموريتاني يتطور ويتفاعل مع قيام الحركات السياسية الناشطة بعد الاستقلال لتصل في السبعينيات إلى أوج ازدهارها

حديث النخيل = للشاعر محمد كابر هاشم
وتأثيرها في الشعر والأدب كافة حيث ظهرت عندنا القصة والشعر الذي لا
يتقيد ببناء القصيدة القديمة ، والشعر السياسي الوطني والقومي.
لقد توفرت لشعر محمد كابر هاشم عوامل عديدة وجديدة جعلته يرتبط
بالقضايا الوطنية والقومية منها:

أولاً: تزايد الوعي الثقافي والأدبي والسياسي والفكري بفعل الانفتاح
على العالم الخارجي وتأثير بعض الإذاعات العربية مثل " صوت العرب "
ثانياً: وصول بعثات تونسية ومصرية إلى البلاد.

ثالثاً: افتتاح المركز الثقافي العربي المصري عام 1964 م والذي كان يوفر
لرواده مختلف الكتب ، وينظم محاضرات ثقافية ويصدر مجلته الشهرية: "
الرسالة " التي كانت تنشر شعر الشباب الموريتاني فقد نشر فيها الشاعر
محمد كابر هاشم في عدد سبتمبر 1973م قصيدة بعنوان: " تحية الشعر إلى
فلسطين الحبيبة" كما نشر في نفس المجلة قصيدة تغنت بانتصارات الأمة في
حرب أكتوبر المجيدة (1973).

في المركز الثقافي العربي كان الشباب الموريتاني يقرأ تجارب الشعر
العربي الحديث في مراكزه الكبرى ، ويقرأ مترجمات الآداب الغربية ، فتأثر
بتياراتها المختلفة.

رابعاً: تسرب الفكر القومي والاشتراكي إلى البلاد الناتج عن ظهور
حركات سياسية تدعو إلى التحرر والتقدم وتحديث الحياة الموريتانية كافة.

حديث النخيل = للشاعر محمد كابر هاشم
خامسا: قيام حرب أكتوبر 1973م الذي ألهب حماس الشعب ، فطفق
الأدباء الموريتانيون الشباب يكتبون- زهوا بها - الشعر والمسرح والقصة
والمقالة.

سادسا: صدور جريدة الشعب عام 1975م التي فتحت صفحاتها لنشر
إنتاجات الشعراء والقصاص والمسرحيين.

رغم أنه مكث طويلا في المدينة وسافر كثيرا وخالط أئما وشعوبا فقد ظل
يعتز بذكاء البدوي ونبله وصفاء ذهنه ، ويمجد المنظومة القيمة التي مارسها في
صحرائه بشرف وإبلاء ، استمع إليه يخاطب جلاديه:

حيي من البدو لا يرضى العمالة لو يغتاله القحط بالإحباط والملق
والتأمل إنتاج الشاعر يلاحظ مسحة رومانسية في بواكير تجربته الشعرية
اعتبرها بعض النقاد تعبيرا عن تبرم من حالة البلاد تحول هذا التبرم فيما بعد
إلى رفض ثم كفاح في سبيل مبادئه الثابتة ، فكان يدعو إلى التغيير الإيجابي
الذي يحافظ على الأصالة في الحياة العامة وفي الأدب والشعر خاصة ، فلم
تستهوه الثورة على تقاليد الشعر العربي القديم في موسيقاه ولغته وأسلوبه ،
فظل وفيا لهذا الشعر الأصيل في موسيقاه، ولم يستخدم العامية ، وما خرق
حرمة الموسيقى الشعرية الخليلية ، ومع ذلك كله جدد في فنون الشعر
وأسلوبه وربطه بقضايا أمته.

حديث النخيل = للشاعر محمد كابر هاشم
وظل يحن إلى النخيل ويتحدث عنه ويستنتقه بلسان فصيح قح عن أصالة هذا
الشعب:

حدث النخل قال: ذات زمان كان مهدي للفتحين مقيلا.

لقد ربط محمد كابر هاشم القصيدة بالقضايا الوطنية والقومية بواسطة كثير من تفاصيل التاريخ المحلي والعربي التي تتحول إلى رموز ذات أبعاد ودلالات عميقة كما في قصيدة " النورس الصديان " و" هنا نبتنا " و" موعظة في ثلاث شعب " وشكاة إلى ابن الصعيد " و" حدث عن الفتح " و" حديث النخيل " و" علاقة الضاد بالضاد " وغيرها من قصائده الموجودة في هذا الديوان وقصائده غير الموجودة فيه.

لذلك لم يكن شعره هتافات ولا شعارات ولكنه شعر يلتزم بالقضايا الوطنية الثقافية والسياسية والوحدة العربية ووحدة المغرب العربي والإنسانية كافة. إن تجربة محمد كابر هاشم الشعرية- كما تبدو- في هذا الديوان أصيلة وجريئة ذات أبعاد متعددة: المعاناة الذهنية القائمة على تصور الأشياء تصورا ذهنيا دقيقا، ففي عالمه الشعري مطلق وواقع ، وفيه الحب "ربيع الرباب" والموت والحياة "المنهل العذب".

وهذه المعاناة الدالة على المشاعر الرقيقة والعواطف الجياشة والوفاء قادته إلى تناول كل القضايا المعيشة في الحب والوطن والوحدة والتعريب، ومنها: ظهور ثقافته القديمة والحديثة حيث قرأ الأدب العربي القديم والحديث والمترجم من الأدب الغربي ، فظهر ذلك كله في شعره بصور ورموز مختلفة؛ ورغم ذلك ظهرت في شعره أكثر من كل ذلك - روح الموريتاني الأصيل إلى جانب روح المثقف العصري الهادئ الرصين المشبع بالمبادئ الراسخة والتي جعلته لا يمتشق عصا التسيار والترحال بين القنوات السياسية بحثا عن أفضل المراعي والمنتجعات كما فعل غيره.

حديث النخيل = للشاعر محمد كابر هاشم
صراع في الظلام" في جريدة الشعب 1975م وأقصوصة " الركن " 1975م
ونشر أقصوصة طريفة بعنوان: " الموت البطيء" في مجلة الفكر التونسية عام
1977م كما نشر قصة بعنوان: " الصخرة في جريدة الشعب عام 1988م
وأخرى عام 1992م، مما يبرهن على جودة ما اطلعنا عليه من قصصه.

وسوف نثبت هنا الفقرات الأولى من أقصوصته " الركن ":

(القرف يستبد بالمدينة والوخم يزرع أظافره في حلق الليل والشرود
يتلبه.. تحسس جيئه. وأخذ آلة تدخينه. تذكر مضي سنة على " الركن
الشرعي " لخديجة. أمها لم تكن راغبة في ذلك الركن.. اعتبرته تعطيلًا. ولكن
السنة انقضت .. " هل يسرق؟ ما يزال يذكر كم تستهجن السرقة في حيه
البدوي..

أخيرا استمع إلى أحاديث بعض الموظفين وإعجابهم بفلان الذي سرق
المصلحة كذا .. منبهرين بفتوحاته، فقد أصبح الفحل الذي لا يقرع له أنف ..
قد يكون استحسان السرقة واستقباحها أحد تلك الفروق الكبيرة بين سكان
المدن وسكان أحياء البادية.

/

نواكشوط في 28/ نوفمبر 2002م

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

- -

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

..

..

..

..

* * *

* * *

..

-
:
!
-
!

* * *

* * *

* * *

" "

.. -
.. -
: -
.. .. -
.. -
.. -
* * * * *
* * * * *
..
"
* * * * *
* * * * *
..
.. ..

..

..

..

..

..

* * *

* * *

* * *

* * *

:

..

..

..

" "

.. ..

..

* * *

* * *

..

..

* * *

* * *

..

* * *

* * *

..

* * *

* * *

" "

* * *

* * *

..

* * *

* * *

" " "

* * *

* * *

" "

" "

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

* * *

()

()

()

()

()

- -

* * *

* * *

- -

* * *

* * *

* * *

-

:

- -

* * *

* * *

* * *

" " " "

" "

" "

" "

* * *

* * *

" " " " "

* * *

* * *

- -

()

" " " " "

"*

" " " " "

" "

" "

*

"

"

* * *

* * *

* * *

* * *

||

||

"*

"

*

* * *

* * *

* * * * *

* * * * *

" " " "

" " " "

* * *

” ”

* * *

* * *

”

”

”

”

- -

* * *

* * *

1» «

* * *

* * *

. : : - 1

" "

* * *

* * *

...

* * *

* * *

*

*

*

*

" "

- -

* * *

* * *

* * *

* * *

" "

" "

" "

"*"

* * *

* * *

-

-

-

-

*

..

" "

* * *

* * *

" "

" "

" "

* * *

* * *

" " " " " " "

..

" "

" " " "

" "

" "

* * *

" "

* * *

" " "

" "

" "

" "

"

* * *

...

- -

"

"

الشاعر في سطور:

.1953